قضية

بعد انتهاء الأزمة، هناك شرعية للسؤال عن الحاضنة الشعبية لحركات المقاومة، لكنْ، هناك فرق بين السؤال عن شعبية المقاومة نفسها، وهذه تجيب عنها تضحيات الناس وصبرهم، وبين السؤال عن شعبية فصيل بعينه، وهو الذي مارس السياسة من دون تجربة سابقة، ثم ترك الحكم قبل اندلاع الحرب بأسابيع، وكان يقول إن حربين ماضيتين اندلعتا لـ«إسقاط حكمه»

شعبية «حماس» في حسابات الحرب والسياسة

يبدو تأييد «حماس» في الضفة قويا خاصة أن سكانها لم يعايشوا تجربة حكمها (آي بي ايه)

غزة ـ **بيان عبد الواحد**

قبل أن يصبح أبناء «حماس» عناصر في هذا التنظيم الإسلامي المنبثق عن جماعة «الإخوان المسلمون»، عليهم أن يؤدوا قسم البيعة أمام أمرائهم على «السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره». بموجب هذه البيعة، لا يحق لهم أن يجادلوا قيادات الصف الأول في ما أقروا، أتعلق ذلك بأمر دعوي أم سياسي، ولا سيما أن المسلَّم به داخل التنظيم غياب أي فصل بين الدين والسياسة.

رغم هذا البناء المتين، فقد دفعت جملة المتغيرات الإقليمية في النصف الثاني من العام الجاري بالحركة نحو اتخاذ قرار بالمصالحة مع غريمتها «فتح»، علماً بأنها دخلت المعترك السياسي عام 2006 بتحقيق كتلتها البرلمانية أكثر من ثلثي أصوات المجلس التشريعي. ومقابل خطوة المصالحة، رفع عناصر في «حماس» أيديهم ليسجلوا نقطة نظام على هذه الخطوة التي وصفوها بـ«الخطيرة»، لأنهم يرون أن الحكومة التي جرى تشكيلها أواخر أيار الماضي، «التوافق»، هي «حكومة تكنوقراط في المظهر، وفتحاوية في الجوهر».

حتى على المستوى الإعلامي ظهرت عدة إشارات اعتراض منها «مانشيت» صحيفة «الرسالة»، التابعة لـ«حماس»، في عددها الصادر في الثاني من حزيران الماضي، وحمل عنوان (حكومة عباس - قراط). في ذلك اليوم كان رئيس السلطة، محمود عباس، قد أصر على تولي رياض المالكي وزارة الخارجية، وهو شخصية تقع في محل رفض حمساوي، الأمر الذي هدد بفرط عقد المصالحة، لكن سرعان ما قبلت «حماس» التشكيلة كلها. وصار للقرار التي اتخذ على مستوى المكتب السياسي للحركة بالموافقة على اشتراطات عباس له أثر بالغ في نفوس القاعدة العريضة للتنظيم الإسلامي داخل الهياكل الرسمية والمناصرين، ولا سيما أصحاب الرؤى التي لا ترحب بفكرة الاندماج مع «فتح ذات التوجه العلماني».

أيضاً، جاء دخول «حماس» الحكم قبل ثماني سنوات ومحاولة انسحابها منه مع بقاء مصير 40 ألف موظف وعائلاتهم معلقاً ليسهم ذلك في خلخلة القاعدة الجماهيرية للحركة والتأثير في شعبيتها. وزادت صعوبة الموقف مع تفاقم أزمة الرواتب والاعتداء على البنوك إلى أن صدمت الحرب قطار التدهور السياسي الفلسطيني، وأجّلت النقاش الداخلي الرسمي والشعبي 51 يوماً.

بعد الحرب، عادت أصوات شعبية أخرى لتتظاهر على «حماس»، بجانب هجومها على «فتح»، جراء فقدان الأثر المباشر لمفاوضات القاهرة، بالتزامن مع عودة التراشق الإعلامي والخوف من بقاء قضية الإعمار رهناً بهذه التجاذبات. وزاد على ذلك استرجاع الذاكرة الشعبية الخوف من تكرار تجربة الانقسام الفلسطيني قبل ثماني سنوات إن عادت السلطة مجدداً إلى غزة دون حل الخلافات كلياً، ما يعني أن هناك «حزيران» دامياً آخر.

مع ذلك، عملت القيادة السياسية لـ«حماس» على تسويق رؤيتها بشأن المقاربة بين المصلحة العامة والخاصة، فخرج عضو مكتبها السياسي، موسى أبو مرزوق، إلى القواعد الدنيا وعبر المساجد والقاعات المغلقة حتى يوضح دواعي النزول عن الشجرة. كان واحداً من مبررات أبو مرزوق حيال المصالحة مع «فتح»، وفق مصادر حركية مطلعة، الحفاظ على بقاء «حماس» من الاندثار بفعل ما صار يسمى داخلياً «الخريف العربي الذي أسقط ورقة الإسلاميين ممن تصدروا الواجهة في أعقاب التحركات التي شهدتها كل من مصر وليبيا وسوريا». وأقرت تلك المصادر بأن هناك «أصواتاً معارضة داخل حماس ضد قبولها حكومة الحمدالله الذي كان في وقت من الأوقات جزءاً من الانقسام»، لكنها شددت على أن «الحركة تعمل وفق مبدأ شوريّ وتأخذ مواقفها بالإجماع».

أما على المستوى الشعبي، فإن الاستياء بلغ حدّه جراء تردي الأوضاع المعيشية في غزة إلى نحو غير مسبوق قبل الحرب وبعدها، وخصوصاً أن معدلات البطالة تخطت حاجز 40% والفقر قفز إلى ما فوق 39%، والأمر هنا لا يتعلق بالمقاومة وأدائها الذي يقع محل الفخر الشعبي الواضح بقدر النظر إلى سلوك حكومة «حماس» السابقة التي لا تزال كوادرها الإدارية تعمل وتصرّح في غزة. فراح جزء كبير من المواطنين نحو اتهام «حماس» بأنها تمسكت بالمنصب على حساب مصالح الشعب، بدلالة أنها بقيت في الحكم ثماني سنوات دون اكتراث لواقع الناس، ولم تتنازل عنه إلا بعدما أحدق بها الخطر ولم تجد سبيلاً للحل، كما يقولون.

> **دخول «حماس» إلى السلطة كما خروجها منها أزّما الوضع المعيشي في غزة**
>
> **ارتفعت شعبية الحركة في الحرب، لكن المخاوف من انخفاضها قائمة**

في تقويم تلك الحقبة، يقول المحلل السياسي، طلال عوكل، إن الأداء الحكومي أثّر في شعبية «حماس» كثيراً، إضافة إلى أن «ملف الانقسام بحد ذاته جر الكثير من الولايات على الشعب وحماس على وجه الخصوص»، لكنه رأى أن الحركة أدارت الحكم في ظروف صعبة وتحولات عربية، «كما تحملت وحدها المسؤولية ولم تستطع صنع شراكة مع الآخرين من غير فتح». ويضيف عوكل لـ«الأخبار»: «يجب أن يعلم من يرغب في الحكم أن

«فتح»: من «الطلقة الأولى» إلى «غصن الزيتون»... والمسافة بـ

غزة ـ **سناء كمال**

قبل الحديث عن نظرة القاعدة الشعبية الكبيرة لحركة «فتح»، في قطاع غزة، إلى حركة «حماس» وأدائها في المقاومة بعد ثلاث حروب، والحكومة بعد ثماني سنوات، فإن من المهم الالتفات إلى تاريخ التعامل بين «فتح الضفة»، الضفة المحتلة، و«فتح غزة». يقول الفتحاويون في غزة إنهم منذ رحيل الرئيس ياسر عرفات تلقوا «غبنا كثيرا» على المستوى التنظيمي أولا، والحكومي حينما كانت السلطة بيد حركتهم. في سبيل ذلك يضربون أمثلة كثيرة كقلة الموازنات التنظيمية المخصصة للقطاع وصولا إلى طرق التعامل الوزاري وجعل مركزية القرار بيد رام الله.

مقابل ذلك، تعاطى فتحاويو غزة مع «حماس» بحذر وعلى مراحل متدرجة، كلها ارتبطت بموقفهم من «حماس» وموقعها من المقاومة، لذلك لوحظ أن حجم التعاطف معها في الحرب الأولى 2008 كان محدودا بسبب آثار الانقسام الداخلي، ما دعا بعضهم آنذاك إلى توزيع الحلوى فرحا باستشهاد عناصر شرطة غزة، لكن في حرب 2012 كان أول المحتفلين بالانتصار في الشوارع هم عناصر «فتح».

اليوم، وبعد الحرب الأخيرة، انقسمت النظرة الفتحاوية نحو «حماس»، فضلا عن الانقسام الداخلي الكبير بين مؤيدي رئيس السلطة، محمود عباس، ومؤيدي القيادي المفصول من الحركة والنائب في المجلس التشريعي محمد دحلان. حتى داخل التيارين هناك قسمان، الأول ينظر إلى أن «حماس» جزء فعال في المقاومة على خلاف النهج السلمي الذي اختارته «فتح»، وآخر يراها جزءا من المشكلة الفلسطينية الداخلية وأنها تجر الحروب والويلات على غزة.

مع ذلك، ظلت «فتح» في غزة تعمل عسكريا تحت عدة مسميات، كما شاركت في التصدي بالحرب بمجموعات مسلحة صغيرة. يكشف أحد كوادر «فتح» الذي فضل إخفاء اسمه أنه منذ بداية الحرب وحتى اليوم دقت طبول حرب فتحاوية داخلية «في ظل اتساع فجوة الاختلاف بين فكرين ونهجين» داخل التنظيم نفسه. من هذا المنطلق، يشير هذا الكادر إلى أن التصعيد الإعلامي الذي قادته الحركة بشأن ممارسات «حماس» مع بعض عناصرها، وإن كان حقيقة، فإن الغرض منه «تذكير الفتحاويين بأن حماس خصمهم».

لجهة الإصرار على الخيار المسلح رغم أن قيادة «فتح» لا تتبنى هذا الخيار ولا تدعمه، فيما تقابل «حماس» عناصر الحركة في غزة بالتضييق، وخاصة في النشاطات التنظيمية الداخلية، يحاول المتحدث باسم «كتائب الأقصى ـ لواء الشهيد نضال العامودي»، أبو محمد، شرح كيف ينظرون إلى المقاومة انطلاقا من غزة التي تسيطر عليها «حماس». يقول أبو محمد: «في فتح ليس أمامنا خيار سوى المقاومة المسلحة، عبر الرصاصة الأولى التي أطلقتها الحركة وتعهدنا من ذلك الحين تحرير الأرض»، مؤكدا أنه لا مانع لديهم من العمل مع باقي الفصائل «وفي مقدمتها حماس» لمقاتلة إسرائيل.

هذا الموقف يربطه المتحدث العسكري بالإشارة إلى أن الأيام أثبتت أن الشعب لن يحتضن أي فصيل إذا ابتعد عن الكفاح المسلح، «وهو ما واجهته فتح فعليا حينما سلمت البندقية واتجهت إلى المفاوضات دون سلاح تدافع به عن شعبها». يتابع أبو محمد لـ «الأخبار»: «لا يخفى أن قادة لهم ثقلهم في فتح يحاولون دثرنا تحت التراب ونفي الاعتراف بنا، لكننا نبههم إلى أن الشعب هو من سيضعهم في تراب التاريخ لتخليهم عن نصرته». ووجّه في الوقت نفسه رسالة إلى مقاومي الضفة بالقول: «غزة انتفضت نصرة للطفل أبو خضيرة الذي قتله المستوطنون وأحرقوه، ودفعت ثمنا باهظا لنصرة الضفة، لكننا للأسف لم نجد من الضفة ما يخفف عنا وطأة الحرب... لا ننكر أن سبب ذلك يرجع إلى السلطة (فتح) التي تقمع كل من يحاول أن يرفع السلاح في وجه إسرائيل».